الدكتور سلطان بن محمد القاسمي ورؤيته في كتابة التاريخ

السيد / جمشير بي. كي[١]

د / محمد عابد يو. بي[٢]

الملخص

يعد الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى للإمارات العربية المتحدة وحاكم الشارقة. ويعرف الدّكتور سلطان بن محمد القاسمي مؤرّخا من الطراز الأول، ومن القلائل الذين ارتادوا حفل التاريخ متسلحين بمنهج علمي دقيق وزاد معرفي وفير، كتب وألف وحقق ودقق راجع العديد من الكتب والوثائق والمصادر التاريخية، عن تاريخ الخليج العربي بشكل عام والإمارات العربية بشكل خاص، كما تضمّ أعماله التاريخية مادة وثائقية غنية، وهي تتطلب سبحا طويلا وغوصا عميقا، لسبر أغوارها، والوقوف على مختلف تمفصلاتها.

سلطان القاسمي: السّيرة والمسيرة

هو صاحب السمو الشيخ الدكتور "سلطان بن محمّد بن صفر بن خالد بن سلطان بن صقر بن راشد القاسمي"، ولد في يوم الأحد الرابع عشر من جمادي الأولى من سنة ١٣٥٧ هـ الموافق اليوم الثاني من شهر تموز (يوليو) من سنة ١٩٣٩م في مدينة الشارقة[٣]. تربي سموه وترعرع على حب الأدب والمعرفة ويعرف عنه تعلقه بهما. وهو لا يزال راعيا للأدب والثقافة والفن، وينعكس ذلك على إمارته التي تزدهر بالمراكز والمحافل الثقافية. ومن الجدير بالذكر في هذا السياق معرض الشارفة الدولي الكتاب الذي اكتسب شهرتها عالميا ويتم عقدها سنويا تحت الرعاية المباشرة من قبل سموه الشيخ سلطان القاسمي. إلى جانب تشجيعه للفعاليات الثقافية هذه، هو نفسه كاتب مبدع قدير. قد بلغت مؤلفاته اكثر من أربعين عنوانا. وتناول سموه في كتبه التاريخ والأدب وسيرته الشخصية بأسلوب سهل أخاذ ممتع. وقد تم ترجمة معظم هذه الكتب إلى لغات عالمية شتى من الإنجليزية والفرنسية والأسبانية والألمانية حتى إلى اللغات الهندية بما فيها الأردية والمليالمية[٤]

عمل الدكتور مدرسا لمادتي اللغة الإنجليزية والرياضيات في المدرسة الصناعية بالشارقة، عامين من شهر شباط فبراير من سنة ١٩٦١م. حتى شهر سبتمبر من سنة ١٩٦٣م، ثمّ تسلّم رئاسة البلدية في سنة ١٩٦٥م وبعد عودته إلى الشارقة بعد إتمامه دراسته الجامعية في سنة ١٩٧١م، تسلّم إدارة مكتب صاحب

---

[١] الباحث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق والأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية، كلية روضة العلوم العربية بفاروق

[٢] مشرف البحوث والأستاذ المساعد، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق

[٣] موقعه الرّسمي.

[٤] اسلم. ك. والدكتور محي الدّين كوني. أ. ب. الشيخ الدّكتور سلطان بن محمد القاسمي: محقق التاريخ وسلطان الإبداع. قسم العربية. مجلة كاليكوت. المجلد السابع. العدد الثالث. سمتمبر ٢٠١٧م. كالكوت. كيرلا. الهند.

السمو الحاكم في إمارة الشارقة. وبعد أيام من قيام اتخاد دولة الإمارات العربية المتحدة. في صباح اليوم الثاني من شهر دسمبر من سنة ١٩٧١م، وتحديدا في اليوم التاسع من شهر دسمبر، تم تشكيل مجلس الوزراء، ونص الدكتور يومها وزيرا للتربية والتعليم.

وفي يوم الثلاثاء، التاسع من ذي الحجة من سنة ١٩٧٢م، تسلم مقاليد حكم إمارة الشارقة، بعد حادثة اغتيال حاكم الشارقة آنذاك، الشيخ خالد بن محمد القاسمي ليكون عضوا في المجلس الأعلى لدولة الإمارات العربية المتحدة، وكان عمره آنداك ٣٦ عاما. ويعتبر الدكتور الحاكم الثامن عشر لإمارة الشارقة من حكم القواسم الذي يعود إلى سنة ١٦٠٠م، وقد قاد التنمية الثقافية والإقتصادية والإجتماعية فيها، وبذل جهدا إضافيا، ووفر مصادر لتشجيع التفاعل والحوار الثقافي، محليا وإقليميا ودوليا، بين الشعوب كافة.

سلطان القاسمي مؤرخ العصر

اتصف الدكتور بصفات المؤرخ الحذق، الذي يكتب التاريخ بوعي موضوعية وتمحيص كما امتاز بقوة الضبط، وشدة التمرس، ورهافة الاحساني، والقدرة على تمييز الحق من الباطل والصحيح من السقيم، والأشابة من العريق، وهي صفات جعلته صاحب حرفة تاريخية ومهنة توثيقية تتجاوز مجرد العرض العابر للأحداث والذي لا يستند إلى التحليل والتفسير والتعليل.[٥]

ويعد المؤرخ العربي المعاصر الوحيد الذي جمع بين هبة العلم وملكة الفهم، وطول الباع وسعة الاطلاع. وقد ساهم ذلك في إشراء مادته التاريخية، واكسبها طابعا خاصا وبعدا خالصا في المنهج والمضمون، كما اتسمت كتابته التاريخية بأسلوب تاريخي متمايز، إطاره الموضوعية وتحري الحقائق في كتابة التاريخ، تلك الكتابة التي عضافرت عوامل عده، حدته إلى خوص غمارها وسبر أغوارها، منها الوعي المبكر بأهمية تدوين التاريخ وكتابة أحداثه ووقائعه في سفر جامع.[٦]

وبالنظر إلى طبيعة المادة التاريخية المدونة، يمكننا القول، ومن الوهلة الأولى: إن سلطان بن محمد القاسمي أتموذج للمؤرخ المثالي، الملتزم قضايا شعبه وأمته، الوفي لتاريخه، الغيور على تراثه، لذلك فإن اي مقاربة تسوخي الإحاطة بكنه أعماله وتنشد فهم مضمونها والغوص في أعماقها، تتطلب بلا ريب – إمعان النظر في الأسس والمرتكزات الكبرى التي بنى عليها الدكتور رؤيته التاريخية، الناتجة عن تبلور وعيه التاريخي، الذي مثل الجذوة التي أذكت فتيل البحث والدراسة التاريخية في نفسه، وأسست لمعرفة تاريخية تتكئ على خطاب واضح المعالم.

---

[٥] د. مني بو نعامة. مؤرّخ العصر: مقاربة في مرتكزات الكتابة التاريخية عند سلطان القاسمي. معهد الشارقة للتراث، الشارقة. دولة الإمارات العربية المتحدة. الطبعة الأولى. ISBN 978-9948-02-268-8

[٦] أحمد الشريبني. سلطان بن محمد القاسمي. أمير من هذا الزمان. الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مطبعة المدني. القاهرة. ٢٠١٠م.

رؤيته في كتابة التاريخ

ينطلق الدكتور سلطان بن محمد القاسمي من رؤية عميقة للتاريخ. تتجاوز الفهم السطحي للمفهوم والنطاقات الضيقة التي يتمّ تداوله فيها. والنظر إليه أنه سرد جاف للوقائع والأحداث، مجرد من أي تفسير أو تحليل أو تعليل، وبمنأى عن المقارنة والمقابلة للتميز بين الغثّ والسمين.

وتتسق رؤيته للتاريخ، درسا وكتابة، مع أعرق المدارس الأوروبية التي عنيت بالمفهوم من منظور نقدي يتكئ على ضرورة الإعتماد على الوثائق في كتابة التاريخ، فلا تاريخ من دون وثائق، وهذا ما يحيل إليه المؤلف في غير موضع – كما سيّائي – وهو يشي بنظر حصيف ورؤية ثاقبة وإدراك عميق ووعي كامل بأهمية كتابة التاريخ وتدوين أحداثه، حتى لا تذهب أدراج الرياح، أو تطالها أيادي الضياع والنسيان، لأن الغاية – في نهاية المطاف – من كتابة التاريخ والنظر في أحداثه ووقائعه عند الدكتور، الإنفاع بها، وأخذ العبرة منها، واستشراف المستقبل عبرها، وفهم حقيقتها وما كان علية في الواقع، من دون تصحيف او تضخيم أو تقزيم وهذا ما يكشفه بقوله: "كتبت هذا الكتاب، لأوثق فيه تاريخ أهلي وبلدي، في تسعة وعشرين عاما، في أساليب من القول، بعد ما أزلت منه الغث أو ما اختلط به"[٧]، على أنّ هذا النمط من الكتابة التاريخية التي تتوخى الدقة والتمحيص، لم يمنع المؤلف إغفال ما لا فائدة من ذكره من الأحداث والوقائع، وذلك فحوي قوله وعين بيانه: "لقد اغفلت كثيرا من الحوادث والروايات لأناس قضوا نحبهم، لأن ذكرها يثير الضغائن التي سترها الله! جاء في الأثر: "اذكروا محاسن موتاكم"[٨]، كما يكشف هذا هما تاريخيا وقوميا واسلاميا، لازم الدكتور وشغله حينا من الدهر، وما يزال، ولعل أوضح دليل على ذلك، حديثه عن بعض القضايا الخارجة عن السياق المحلي، ظاهريا، مثل: العددان الثلاثي على مصر، حزب البعث، قضايا مسلمي الصومال وأمريكا: ممّا يختزل النظرة العربي والإسلامي، والتفاعل مع ما يدور في فلكه من قضايا.

كما أن الغاية الأسمي في رؤية الدكتور لكتابة التاريخ، تمكن في الرد على الدعاوي الباطلة، وتنقيح تاريخ المنطقة مما علق به، عمدا او عن غير عمد، من شبهات وادعاءات وأباطيل، ألصقت به، وروج لها كتاب المدرسة الاستعمارية، وبخاصة البريطانية، لتبرير ما اقترفته أيديهم من بشاعة منقطعة النظير في حق العرب والمسلمين، من هدم وتدمير، وقتل، وتشويه للحقائق، وتحريف للقول عن موضعه، ولذلك المؤرخ الملتزم الذي اكتسب دربة ومراسا في قراءة التاريخ وتدوين احداثه ووقائعه، وفق مناهج علمية دقيقة، تنشد الشفافية والصدقية والحياد، للقيام بهذه المهمة الصعبة والشائكة والمعقدة في الآن نفسه.

الخاتمة

---

[٧] الدكتور سلطان بن محمد القاسمي. سرد الذات، منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة. الطبعة الخامسة. ISBN 998-9948-16-851-5

[٨] نفس المصدر

أقام الدكتور سلطان بن محمد القاسمي نهضة ثقافية وعمرانية وحضارية في الشارقة، حولتها روحة وارفة الظلال، يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، ويؤمّها المبدعون المفكرون وأصحاب الأموال والأعمال من كل جدب وصوب، وشجع في نطاق النهضة الّتي أحدثها، على قيام مؤسسات المجتمع المدني بقصد تنمية الشعور الوطني، والتفاعل بين المجتمع والمؤسسة الرسمية.

إن مجمل أعمال سلطان القاسمي التاريخية تتم عن قدرة فائقة على استيعاب كل الوقائع والأحداث، بقديمها وجديدها، وتحليلها وتفسيرها، بما يتماشى مع رؤيته التاريخية الثاقبة، التي تحيل هي الأخرى إلى معنى علمي وموضوعي، مترسخ في ذات المؤلف، وفي كتابته، وممكنات مجتمعه وخصوصيته التاريخية، وباع طويلة في شتى الفنون والعلوم التي يستحضر فيها الموروث العربي والإسلامي بقوة محيلا القارئ إلى هويته العربية والإسلامية.

المصادر والمراجع

١. أحمد الشربين. سلطان بن محمد القاسمي امير من هذا الزمان. الجمعية المصرية للدراسات التاريخية. مطبعة المدني. القاهرة. ٢٠١٠م.

٢. القاسمي، سلطان بن محمد. الحقد الدفين. مركز الشارقة للإبداع العربي، الشارقة الطبيعة الأولى. ٢٠٠٤م.

٣. القاسمي، سلطان بن محمد. حديث الذاكرة. الجزء الثالث. منشورات القاسمي. الشارقة. دولة الإمارات العربية المتحدة. ٢٠١٣. ISBN 978-9948-16-970-3

٤. القاسمي، سلطان بن محمد. سرد الذات. منشورات القاسمي. الشارقة. دولة الإمارات العربية المتحدة. الطبعة الخامسة. ٢٠١٢، الشارقة ISBN 978-9948-16-851-5

٥. مجلة الصباح للبحوث. مجلة بحشية محكمة منوية. المجلد ١ يناير ٢٠١٦، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق (حكم ذاتي) كيرالا. الهند

☆☆☆